

معركة الزلاقة (479هـ/1086م)

The Battle of Sagrajas

(479 AH / 1086 AD)

د. خضر عيد السرحان¹

D. Khader Eid Al-Sarhan¹

¹ جامعة آل البيت (الأردن)، khader@aabu.edu.jo

دامياء إبراهيم الخصاونة²

Damia'a Ibrahim Alkassawneh²

² جامعة آل البيت (الأردن)، damiaaibrahim35@gmail.com

Doi 10.53283/2157-007-002-004

تاريخ النشر: 2025/12/31

تاريخ القبول: 2025/11/25

تاريخ الاستلام: 2025/11/06

ملخص: تتناول هذه الدراسة إحدى المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي في الأندلس، والتي وقعت سنة 479هـ / 1086م، بين قوات المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين، والقوات الإسبانية بقيادة ألفونسو السادس، وجاءت المعركة استجابةً لنداء المعتمد بن عباد وملوك الطوائف من يوسف بن تاشفين بالتدخل؛ لمساعدتهم وصدّ هجمات ألفونسو السادس، ووقف زحفه المتواصل نحو مدن الأندلس، وقد لقي يوسف بن تاشفين النداء، حيث انتهت بانتصار جيشه، وهزيمة ألفونسو السادس، مما كان له أثر إيجابي كبير على الحالة النفسية والسياسية لأمرء الأندلس عمومًا، وسيكون البحث حول أحداث ومجريات هذه المعركة التاريخية، وتحليل اختلاف وجهات النظر حول نتائجها وتداعياتها، حيث أظهرت الدراسة أن معركة الزلاقة لم تكن مجرد انتصار عسكري، بل ساهم هذا الانتصار في تمهيد الطريق لتدخل المرابطين في الشؤون الأندلسية، حيث شكلت نقطة مفصلية في التاريخ الإسلامي في الأندلس.

كلمات مفتاحية: يوسف بن تاشفين، المعتمد بن عباد، ألفونسو السادس، الزلاقة، الأندلس.

Abstract:

This study examines one of the pivotal battles in the Islamic history of Al-Andalus, which took place in 479 AH / 1086 AD. The conflict was between the Almoravid forces, led by Yusuf ibn Tashfin, and the Spanish forces, led by Alfonso VI. The battle came in response to the appeal of Al-Mu'tamid ibn Abbad and the Taifa Kings to Yusuf ibn Tashfin for intervention; to aid them, repel the attacks of

Alfonso VI, and halt his continuous advance toward the cities of Al-Andalus. Yusuf ibn Tashfin answered the call, and the battle concluded with the victory of his army and the defeat of Alfonso VI, which had a significant positive impact on the psychological and political state of the Andalusian princes in general. The research will focus on the events and course of this historical battle, and analyze the differing viewpoints regarding its outcomes and repercussions. The study demonstrated that the Battle of Zallaqa was not merely a military victory; this triumph also paved the way for Almoravid intervention in Andalusian affairs, thereby constituting a turning point in the Islamic history of Al-Andalus.

Keywords: Yusuf bin Tashfin, Al-Mu'tamid ibn Abbad, Alfonso VI, Zallaqa, Al-Andalus.

1. مقدمة

بدأ الضعف يسيطر على الخلافة الأموية في الأندلس في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، إلى أن وصلت للانحيار سنة 422هـ/1031م و ظهر على إثر انتهاء الخلافة الأموية في الأندلس 422هـ / 1031م ما يُعرف بدول الطوائف، حيث بلغ عددها أكثر من عشرين دويلة(المقري 1900 ج1: 438) ، وكانت من أبرز هذه الدول: دولة بني جهور في قرطبة بقيادة أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور(ت 435هـ / 1043م)، والذي تسلّم الحكم سنة 422هـ / 1031م بعد انقضاء الدولة الأموية (المقري 1900 ج1: 301؛ الزركلي 2002 ج2: 141)، دولة بني عباد في إشبيلية بقيادة محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي(ت 433 هـ / 1041م)، حيث أسسها بعد سقوط الأمويين (الذهبي 1985 ج18: 256 ؛ الزركلي 2002 ج6: 35)، دولة بني ذي النون في طليطلة، حكمها إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري ، وظل فيها حتى وفاته سنة 430هـ / 1038م (الذهبي، 1985 ج18: 220؛ الزركلي 2002م ج1: 317).

وقد ظهرت دويلات أخرى في الأندلس، لكن مع مرور الوقت سادت هذه الدول مظاهر الضعف والانقسام، تمهيداً لانطلاق ما يُعرف بـ "حروب الاسترداد" وتساعدت هذه الحروب خصوصاً بعد انسحاب الموحدين من الأندلس إثر هزيمتهم أمام التحالف الصليبي الإسباني (الجدامي 2009 ج1: 29)، مما أدّى لانحيار المدن الأندلسية تبعاً وسقوطها في أيدي الإسبان، ومن أبرز تلك المدن قرطبة، وبطليوس، وغيرها.. (ابن خلدون 1981 ج4: 233؛ خطاب 2003 ج2: 131)

2. بوادر المواجهة

بدأ الضعف يسيطر على دُول الطوائف، مما شجّع القوى النصرانية على التفكير في الاستيلاء عليها، وذلك في عهد الملك سانشو الكبير، وبعد وفاته سنة 427 هـ / 1035 م، قُسمت مملكته بين أبنائه فأصبح لكل واحدٍ منهم مملكة مستقلة يحكمها، ثم بدأ ابنه فرديناند الأول⁽¹⁾ محاولات السيطرة على دول الطوائف، واستمرت هذه السياسة التوسعية طوال عهده، إذ ظلت تلك الدويلات في حالة من الضعف والانقسام حتى وفاته سنة 458 هـ / 1065 م، وبعد ذلك اندلعت الخلافات بين الممالك النصرانية، مما أدى لتوقّف مؤقت لحروبهم ضد المسلمين، ولكن سرعان ما تعيّرت الأمور حين تولى ألفونسو السادس الحكم سنة 458 هـ / 1065 م، حيث أعاد توحيد الممالك الإسبانية (وات 1998: 104) ولكنه لم يُقدّم ألفونسو في البداية على خوض الحرب مباشرة ضد المسلمين، بل مهد الطريق سياسيًا وعسكريًا، ثم بدأ بشنّ هجمات تدريجية على مدن الأندلس، وفرض على سكانها دفع الجزية؛ بهدف إذلالهم وإجبارهم على الخضوع له، كما هدّد بحصار أي مدينة ترفض دفع الجزية حتى تستسلم (وات 1998: 104؛ حمون 2010: 66).

وقد سهّل مهمته آنذاك الصراع الداخلي بين دُول الطوائف، لا سيما النزاع بين طليطلة التي كان يحكمها يحيى بن إسماعيل وإشبيلية بقيادة المعتمد بن عباد، حيث عقد المعتمد تحالفًا مع ألفونسو ضد حاكم طليطلة مما منح ألفونسو ذريعة لإعلان الحرب على طليطلة سنة 472 هـ / 1079 م، وقد فرض عليها حصارًا شديدًا، أرسل خلاله حاكمها يحيى بن إسماعيل إلى ألفونسو السادس طالبًا الصلح مقابل دفع الجزية، إلا أنه رفض ذلك واشترط تسليمه أبواب المدينة مقابل وعدٍ بحماية أهلها والحفاظة على المسلمين، وعدم معارضتهم في دينهم، وبقي الحصار مفروضًا على طليطلة لعدة سنوات، وبعد حصار طويل عليها دام ما يقارب سبع سنوات سقطت طليطلة في يد ألفونسو السادس سنة 478 هـ / 1085 م، واتخذها عاصمة له لشن الغارات على باقي مدن الأندلس (القلقشندي 1987 ج 5: 257؛ عبيدات 2007: 42).

⁽¹⁾ فرديناند الأول، أول ملك لقشتالة ومن ثم ورث مملكة ليون بعد وفاة والده، قام بتوحيد المملكتين تحت حكمه، مما عزز قوة قشتالة في شبه الجزيرة الايبيرية، توفي 458 هـ / 1065 م، الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٩٨١ م، ص 328، وسيشار إليه لاحقًا: الحجي، التاريخ الاندلسي.

وبعد سقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس، وهو الحدث الذي أحدث دوياً هائلاً في العالم الإسلامي؛ لأنها كانت من أكبر البلاد وأكثرها تحصيناً، فأدخل ذلك المسلمين بحالة من الضياع والاضطراب (ابن الأثير 1997 ج8: 298؛ أدهم 1900: 201) وأيقن ملوك الطوائف حينها عاقبة تفرقهم، فاجتمعوا لإيجاد وسيلة لوضع حد لتقدم النصارى، وذلك في مؤتمر عُقد في قرطبة ترأسه قاضي المدينة عبد الله بن أدهم، وخلال المؤتمر اقترح البعض الاستنجاد بالعرب المالكيين المقيمين في صعيد مصر على الضفة الشرقية لنهر النيل إلا أن عبد الله بن أدهم أعرب عن تخوفه منهم؛ وذلك خشية أن يُلحقوا بالأندلس ما ألحقوه من دمار بإفريقيا، ثم طُرِحَ خيار الاستنجاد بالمرابطين؛ لقرّبهم منهم، حيث لاقى قبولاً لدى البعض منهم، وأما من لم يقبل بذلك حاولوا إقناعهم بذلك، حيث نجح المجتمعون في إقناع بقية ملوك الطوائف بأهمية هذا الخيار، فاستجاب كل من المتوكل بن الأفطس⁽¹⁾ صاحب بطليوس، وعبد الله بن بلقين⁽²⁾ صاحب غرناطة لدعوة الاستنجاد بالمرابطين (ابن الأثير 1997 ج8: 307).

قبل استكمال الأحداث، يجدر بنا أن نذكر نبذة عن دولة المرابطين، والتي نشأت من تحالف قبائل بربرية صنهاجية أبرزها لمتونة وجدالة ومسوفة، حيث قامت على أسس دينية على يد الفقيه والداعية عبد الله بن ياسين، ومع مرور الوقت تحولت إلى مُلك سياسي على يد يوسف بن تاشفين الذي وحد المغرب الأقصى ومد نفوذه إلى الأندلس، واستمرت دولة المرابطين حتى قضت عليها الدولة الموحدية 541 هـ / 1147 م (عنان 1990: 26).

وبعدما وافقوا بالإجماع على الاستنجاد بالمرابطين، أرسل المعتمد بن عباد كُلاً من قاضي بطليوس أبو إسحاق مقانا وقاضي غرناطة أبو جعفر القليعي، واجتمعا في إشبيلية مع ابن أدهم قاضي قرطبة، والتحق

(1) المتوكل بن الأفطس، آخر ملوك بني الأفطس في الأندلس، تسلم بطليوس عندما توفي أبوه فاستقل بها وما حولها، توفي سنة 489 هـ/1096 م، الزركلي، الاعلام، ج5، ص: 60.

(2) عبد الله بن بلقين (أو بلقين) بن باديس بن حبوس الصنهاجي هو آخر ملوك غرناطة من الدولة الصنهاجية، التي كانت إحدى دول الطوائف في الأندلس، الزركلي، الاعلام، ج4، ص75.

بهم الوزير أبو بكر بن زيدون⁽³⁾، وقد توجّه هذا الوفد إلى يوسف بن تاشفين في المغرب للاستنجاد به في مواجهة خطر النصارى بالأندلس (حسين 1997: 55)، وبدأ يوسف بن تاشفين بمشاوره رجالات الدولة حول استنجاد أهل المغرب به ودارت بينه وبين المعتمد مراسلات متعددة، وقد أشار عليه كاتبه عبد الرحمن بن إسباط بأخذ الجزيرة الخضراء⁽⁴⁾؛ لتكون قاعدة لإنزال الجنود وتجهيز العبور، وبالفعل وافق يوسف على تلبية الدعوة، مشترطاً أن يتنازل المعتمد له عن الجزيرة، فوافق المعتمد وتخلّى عنها لابن تاشفين (ابن بلقين 1955: 102).

ويرى الباحثان أن من دوافع استجابة يوسف بن تاشفين لدعوة ملوك الطوائف إشارة كاتبه عليه بأخذ الجزيرة الخضراء لتكون بداية السيطرة على الأندلس، وأيضاً لمساندة الإسلام والمسلمين والدفاع عنهم وعن أراضيهم ومن جهة أخرى، فإن انتصاره في هذه المعركة سيكسبه محبة الناس والسيطرة على الأندلس. وهكذا بدأ يوسف بن تاشفين الاستعداد للعبور إلى الأندلس؛ تمهيداً لمواجهة مصيرية مع النصارى، وفي هذا البحث، سنجيب عن عدد من التساؤلات الجوهرية التي تحيط بهذه المرحلة الحاسمة من التاريخ الأندلسي، وهي:

- كيف استعدّ الجيشان للمعركة؟
- ما أبرز أحداث معركة الزلاقة؟
- ما نتائج هذه المعركة المباشرة وغير المباشرة؟
- ما هو وضع المسلمين في الأندلس بعد المعركة؟
- وكيف كان حال الأندلس بعدها؟

3. الاستعداد للمعركة

(3) ابن زيدون، حمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون، المخزومي الأندلسي (المعروف بـ أبو الوليد)، هو شاعر ووزير كاتب أندلسي بارز، ولد في قرطبة وكان من أعلام الأدب والسياسة في الأندلس خلال فترة دول الطوائف، الزركلي، الاعلام، ج1، ص 158.

(4) الجزيرة الخضراء، مدينة مشهورة في الأندلس، أعمالها متصلة بأعمال شذونة، تقع شرقي شذونة، وهي من أشرف المدن واطبيها أرضاً، وهي متصلة بالبر الأندلسي، الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ / 1229م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط3، 1995م، ج2، ص 136، وسيشار إليه لاحقاً: الحموي، معجم البلدان.

1.3 استعداد يوسف بن تاشفين وجيشه

عبر يوسف بن تاشفين في سنة 479هـ/1086م بجيشه من مدينة سبتة باتجاه الجزيرة الخضراء ومعه عساكره (ابن الجوزي 2013 ج19: 207)، وأثناء عبوره مضيق جبل طارق، رفع يديه إلى السماء ودعا الله قائلاً: "اللهم إن كنت تعلم أن في جوازي هذا خيراً وصلاً للمسلمين، فسهّل عليّ جواز هذا البحر، وإن كان غير ذلك فصعبه حتى لا أجوزه" (الناصري 1997 ج2: 34؛ ابن أبي زرع 1972: 145).

وقد عبر البحر بنجاح ونزل بالجزيرة الخضراء، و استقبله أغلب حكام مدن الأندلس بالترحيب، وفور وصوله أمر ابن تاشفين بتحصين الجزيرة وترميمها وتعيين الحراس عليها، ثم توجه إلى إشبيلية (المراكشي، 2006م، ص 98؛ الناصري، 1997م، ج2، ص 34) وعند اقترابه من المدينة خرج المعتمد بن عباد لاستقباله وتبادلا مشاعر الإخلاص والتأييد، ثم تابع يوسف سيره إلى إشبيلية (عنان 1997 ج2: 321)، وبقي في إشبيلية قرابة ثلاثة أيام بانتظار انضمام الجيوش إليه، كما أرسل دعوات لأمرأ الأندلس للالتحاق به، فاستجاب كل من عبد الله بن بلقين، صاحب غرناطة، وأخوه تميم، صاحب مالقة، وانطلقا مع جيوشهما للانضمام إلى يوسف (مؤلف مجهول 1979: 52؛ ابن الخطيب 2003 ج2: 389).

وبعد اكتمال تجمع القوات، تولى المعتمد بن عباد بصفته قائداً عامّاً مهمة تنظيم الجيش وتقسيمه على النحو التالي: المقدمة بقيادة المعتمد بن عباد ويساعده أبو سليمان داوود بن عائشة، وتضم عشرة آلاف فارس من المرابطين، الميمنة بقيادة المتوكل بن الأفطس أمير بطليوس، الميسرة تشكّلت من أهل شرق الأندلس، وضمت الساقة قوات من سائر مدن الأندلس، وتألّفت القوة الاحتياطية بقيادة يوسف بن تاشفين عدداً من المرابطين وأهل المغرب، واتجهت الجيوش بعد ذلك بقيادة يوسف نحو مدينة بطليوس، حيث استقبل من قبل المتوكل بن الأفطس، ثم واصلوا المسير إلى وصولهم لسهل الزلاقة (خليفة 2003: 225؛ عنان، ج2: 321) وعندها عقد يوسف اتفاقاً مع أمراء الأندلس ليكونوا يداً واحدة، مما عزّز ثقتهم المتبادلة (خليفة 2003: 226) وكان لحجى يوسف أثرٌ إيجابي عميق، إذ ارتفعت الروح المعنوية لدى صفوف الجيش وأهالي المدن، كما ساد التفاؤل بإمكانية النصر، ونشّط الخطباء الناس من خلال

حثّهم على الثبات في وجه العدو وتشجيعهم على مواجهة النصارى بثبات وعزيمة، فأصبحت الجيوش على أهبة الاستعداد للمواجهة (خليفة 2003: 240).

أما فيما يتعلّق بتعداد الجيش الإسلامي، فقد اختلفت الروايات في تحديد عدد أفرادهِ؛ فقد ذكر ابن كردبوس أن عددهم بلغ نحو اثني عشر ألف مقاتل فقط (ابن كردبوس 1971: ٩٠)، كما ذُكر في كتاب الحلل الموشية أن عدد الجيوش كانت نحو خمسين ألف فارس منهم أربعة وعشرون من فرسان الأندلسيين والباقي من المرابطين (مؤلف مجهول 1979: 56)، وهنا نلاحظ وجود تفاوت بالأعداد، لكن في المصدرين اجتمعوا على أن عدد المرابطين كان أقل من عدد الإسبان، وعند ذكر استعداد ألفونسو وعدد جيشه، سنرجح أكثر الروايات قبولاً من حيث الأعداد.

2.3 استعداد ألفونسو السادس وجيشه

حين كان ألفونسو السادس يحاصر مدينة سرقسطة، وصلت إليه أخبار عبور المرابطين إلى الأندلس، الأمر الذي استدعاه لفلك الحصار عن المدينة؛ للتركيز على وضع خطة لمواجهة يوسف بن تاشفين وجيشه؛ حيث بادر بإرسال الرسائل إلى ابن رذمير، الذي كان آنذاك يحاصر مدينة طرطوشة⁽¹⁾، وأرسل للحاكم الذي كان يحاصر بلنسية⁽²⁾، فاستجابا له وجاءا بجيوشهما لمساندته، كما التحقت به قوات من قشتالة وليون، حتى أصبح عدد الحشود كبيراً وملحوظاً (ابن أبي زرع 1972: 145-146؛ خليفة 2003: 230).

وقد اختلفت الروايات كما هو الحال مع الجيش الإسلامي، في تحديد عدد جيش الإسبان فذكر ابن كردبوس أن ألفونسو استنفر كل من يستطيع القتال كبيراً كان أو صغيراً، حتى قيل إن عدد جيشه بلغ ستين ألف مقاتل (ابن كردبوس 1971: 94)، بينما ذُكر في الحلل الموشية بأنه خرج ومعه ثمانون ألف فارس مدجّجين بالدروع (مؤلف مجهول 1979: 56)، وكما قدّر ابن خلكان عدد جيش الاسبان نحو أربعين ألفاً قبل انضمام القوات الإضافية إليه (ابن خلكان 1977 ج 5: 29)، كما كان عدد جيش

(1) مدينة طرطوشة، مدينة تقع شمال شرق اسبانيا، مدينة حصينة لها سور قوي، تُشتهر بصناعة السفن من خشب الصنوبر الفاخر الذي يُستخرج من جبالها، الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني الطالبي (ت 560هـ / 1165م)، نزهة المشتاق.

(2) بلنسية، مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي بَرّة بحرية ذات أشجار وأثمار، وتعرف بمدينة التراب، وأهلها خير أهل الأندلس يسمّون عرب الأندلس، الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 490.

الاسبان في تفاوت بالأعداد من حيث المصادر التي ذُكرت، فقد تراوحت الأرقام ما بين أربعين ألفاً إلى ثمانين ألفاً، مما يصعب تحديد العدد الفعلي للجنود بدقة، لكن لا يصعب ترجيح رواية عن أخرى. واستناداً إلى المصادر المذكورة، يرجح الباحثان أن تقدير ابن كردبوس لعدد الجيش الإسلامي الذي بلغ ما يقارب اثني عشر ألفاً هو الأكثر قبولاً؛ ويعود سبب هذا الترجيح إلى إشارته إلى أن عدد الجيش الإسباني يفوق

جيش المسلمين بكثير مما يدعم تقدير أن الجيش الإسباني كان يبلغ حوالي ستين ألفاً كما ذكر ابن كردبوس، ويتفق تقريباً هذا مع ابن خلكان الذي ذكر أن عددهم كان أربعين ألفاً قبل وصول القوات الإضافية، لذلك من المرجح أن عدد الجيش الإسلامي كان اثني عشر ألفاً أو يزيد قليلاً، بينما كان عدد الجيش الإسباني يقارب ستين ألفاً.

رغم التفاوت في تقديرات الأعداد، إلا أن المصادر المذكورة اتفقت على أن جيش الاسبان يفوق الجيش الإسلامي بكثير، وتأكيداً لذلك ورد عن ألفونسو السادس أنه قال "بمؤلاء أقاتل الجن والإنس وملائكة السماء" (المقري 1968 ج4: 363)، ويظهر هذا القول عن مدى الغرور والثقة العالية لدى ألفونسو السادس، إذ اعتقد أن جيشه الضخم قادر على إيقاف وسحق أي قوة تواجهه، مما يعكس استهانته بخصمه وغروره وتقديره المبالغ فيه لقوة جيشه.

وبعد ذلك بدأ ألفونسو في تنظيم جيشه، فقسّمه إلى قسمين، القسم الأول أسنده إلى ابن عمه الكونت غارسيا، والفرنسي رودريك لكن غارسيا انسحب قبل المعركة بسبب خلافات مع ألفونسو، والقسم الثاني تولاه سانشو والكونت برنغار ريموند، وكان هذا القسم يشكّل قلب الجيش، أما العمود الفقري لجيش ألفونسو فقد كان من الفرسان المدرّعين حيث اعتمد في استراتيجيته على الفارس كفرد أكثر من الاعتماد على تكتيكات جماعية، وقد أُعِدَّ الجيش بكامل تجهيزاته وزوّد بالمعدّات والدروع، وكان الجنود في حالة عالية من الجاهزية المعنوية والبدنية، وقد ظل ألفونسو يتفقد وحداته باستمرار وأبدى حماسة كبيرة وحرصاً على خوض المعركة بأسرع وقت (خليفة 2003: 238؛ أبو خليل 1981: 47؛ نصر الله 1985: 83).

أرسل يوسف بن تاشفين إلى ألفونسو السادس رسالة يعرض فيها الخيارات الثلاثة المتعارف عليها في الجهاد الإسلامي: الدخول في الإسلام، أو دفع الجزية، أو القتال، وذلك اقتداءً بالسنة النبوية، وقد ورد في نص رسالته: "بلغنا يا أذفونش أنك دعوت إلى الاجتماع بنا، وتمنيت أن تكون لك سفن تعبر بها البحر إلينا، فقد عبرنا إليك، وقد جمع الله تعالى في هذه الساحة بيننا وبينك، وسترى عاقبة دعائك" (المقري 1968 ج4: 361).

رفض ألفونسو هذا العرض وردّ بسخرية واضحة، فأرسل إلى المعتمد بن عباد رسالة جاء فيها: "إن صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده، وخاض البحور، وأنا أكفيه العناء فيما بقي، ولا أكلفكم تعباً، أمضي إليكم وألقاكم في بلادكم، رفقا بكم وتوفيراً عليكم" (المقري 1968 ج4: 363)، ويُعبّر هذا الرد عن درجة عالية من الاستخفاف بخصمه، ويعكس الثقة المفرطة الناتجة عن شعوره بالتفوق العسكري العددي والتنظيمي، فهو بكمية الاستهزاء أراد المواجهة في أرض الخصم توفيراً عليهم، وهذا الاستهزاء الكبير من ألفونسو عليه أن يرفع من ثقة جيش ابن تاشفين ويدفعهم نحو القوة.

وفي هذه الأثناء، كان يوسف بن تاشفين قد تركز في منطقة الزلاقة في الأندلس بالقرب من قرطبة، بينما كان ألفونسو في بطليوس، وكان بينهما نهر بطليوس وهو أحد فروع نهر وادي يانة (الحموي 1995 ج3: 146؛ عنان 1997: 322)، أرسل ألفونسو إلى المعتمد يطلب تأجيل القتال إلى يوم الاثنين، مبرراً ذلك بأن الجمعة عيد المسلمين، والسبت عيد اليهود، والأحد عيد النصارى، ما اعتُبر جزءاً من خطة الفونسو لمباغطة جيش المرابطين، غير أن طلائع جيش المعتمد استطاعت في ليلة الجمعة كشف تحركات الجيش النصراني، حيث لاحظت استعدادهم للهجوم المباغت، وهذا دفع الجيش الإسلامي إلى الاستعداد الكامل للمواجهة.

غدر ألفونسو بالاتفاق وبدأت المعركة، وذلك صبيحة يوم الجمعة 12 رجب 479 هـ / 23 أكتوبر 1086م، حيث التقى الجيشان في سهل الزلاقة بالقرب من بطليوس (ابن الأثير 1997 ج8: 309؛ ابن الأبار 1985 ج2: 101؛ ابن خلدون 1981 ج6: 248)، كما قيل إن المعركة كانت يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رمضان في سنة 479 هـ / 1086م (النويري 2002 ج23: 458)، لكن اتفق كل من ابن الأثير، ابن الأبار، وابن خلدون أن 12 رجب 479 هـ / 23 أكتوبر 1086م هو يوم المعركة (ابن الأثير 1997 ج8: 309؛ ابن الأبار 1985 ج2: 101؛ ابن خلدون 1981 ج6: 248).

5. مجريات المعركة:

زحف الفونسو في يوم الجمعة 12 رجب 479 هـ / 23 أكتوبر 1086م (ابن الاثير 1997 ج8: 309؛ ابن خلدون، 1981، ج6، ص 248)، وبدأت المعركة بهجوم مقدمة جيشهم بقيادة ألبار هانس، في مواجهة مقدمة المرابطين التي قادها المعتمد بن عباد وكانت المواجهة عنيفة، حيث قاتل المسلمون بشدة وثبتوا بصعوبة (عنان 1997 ج2: 324) كما أصيب المعتمد بجروح بسيطة، فيما تراجع بعض الأندلسيين إلى مدينة بطليوس⁽¹⁾ (الذهبي 1960 ج3: 295، ابن العماد الحنبلي 1986 ج5: 344)، وفي الوقت ذاته هاجم ألفونسو القوات المرابطية المساندة لابن عباد بقيادة داوود بن عائشة؛ بهدف إرهابهم وكسر صمودهم وعلى الرغم الضغط الشديد صمد المرابطون (عنان 1997 ج2: 324). وعندما أدرك يوسف بن تاشفين أن المسلمين يواجهون صعوبة، أرسل إليهم تعزيزات بقيادة سير بن أبي بكر، مما خفف الضغط عنهم ورفع معنوياتهم، واستمر ألفونسو بمواصلة هجماته بعنف ظناً منه أن النصر قد اقترب بعد ملاحظته تراجع بعض القوات الإسلامية (حمون، 2010م، ص 83)، إلا أنه لم يدرك أن ابن تاشفين قد أعد خطة حاسمة للمعركة، إذ قاد بنفسه القوة الاحتياطية وشن هجوماً مفاجئاً على مؤخرة جيش ألفونسو، مستهدفاً معسكره الرئيسي، وقام بإحراقها وقتل من فيها من الجنود، وتمكن بعض الناجين من الفرار لإبلاغ ألفونسو بما يحدث (النويري، 2002م، ج23، ص 458). وعندما علم ألفونسو بذلك، حاول العودة إلى معسكره، لكنه اصطدم بقوات يوسف التي أحاطت به واشتبكت معه في قتال شرس، وفي اللحظات الحاسمة، دفع يوسف حرسه الخاص وعددهم نحو أربعة آلاف مقاتل، إلى ساحة القتال وتمكّن أحدهم من الوصول إلى ألفونسو وطعنه في فخذه مما اضطره للانسحاب، وبدأ جيشه بالتراجع والفرار، فما سلم إلا بعضهم (النويري 2002 ج 23: 458؛ خليفة 2003: 246؛ عنان 1997 ج2: 249)، ثم توجه ألفونسو مع من تبقى من قواته إلى تلّ قريب، وانتظر حلول الظلام ليتمكن من النجاة والهروب من قوات ابن تاشفين؛ خوفاً للتخلص منه على

(1) مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة، الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 447.

الاطلاق، وهكذا انتهت معركة الزلاقة بانتصار للمسلمين وتمكّن يوسف بن تاشفين من تحقيق النصر على ألفونسو السادس (خليفة 2003: 249، عبد الحميد 1995: 310، كولان 1980: 132). أما فيما يتعلق بخسائر ألفونسو في معركة الزلاقة، فقد أشار ابن خلكان إلى أن عددهم كان في حدود أربعين ألفاً (ابن خلكان 1977 ج 5: 29)، وذكر ابن كردبوس أنهم بلغوا ستين ألفاً (ابن كردبوس 1971: 94)، بينما ورد في مصدر آخر مجهول المؤلف أن عددهم كان ثمانين ألفاً (مؤلف المجهول 1979م: 56).

ويعتقد الباحثان أن الأرقام مبالغ فيها؛ وذلك لأن معظم الروايات التاريخية لا تشير إلى تجاوز العدد الإجمالي لتلك التي ذكرت، مما يرجح أن الأرقام الواردة حول القتلى والأسرى كانت مبالغ بها، ولكن يرجح أن عدد القتلى يقارب ستين ألفاً، أما عدد الأسرى فقد تجاوز عشرة آلاف أسير؛ وذلك لأنه حسب ما ذكر النويري أنه فر ألفونسو وما سلم من جيشه إلا آحاد (النويري 2002 ج 23: 458)، وهذا من وجهة رأي الباحثين وقد يحتمل الصواب والخطأ.

6. نتائج معركة الزلاقة:

بعد انتصار المسلمين على النصارى، وإيقاف الزحف الصليبي على بلاد الأندلس، انتشر خبر النصر في أنحاء بلاد الأندلس و ذاع الخبر بين الناس، فأرسل ابن تاشفين إلى بلاد العدو⁽¹⁾ رسالة أشار من خلالها أنه أرسل إلى ألفونسو السادس، مقدماً له خيار الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب، فاختار الحرب، ظناً أن أفضليته العددية ستمنحه النصر ولكنه لم ينجح بذلك⁽²⁾ (ابن أبي زرع 1972: 149). وانتشر الفرح بالنصر في جميع أنحاء المغرب والأندلس، وكان لهذا الانتصار أثرٌ إيجابيٌّ بالغ في نفوس الأمراء، حيث استعادوا الثقة بأنفسهم من جديد (المطوي 1982: 220)، وتوقفوا عن دفع الجزية وامتنعوا عن التنازل عن الأراضي، وانكسر الحصار عن عدد من المدن الأندلسية (ابن أبي زرع 1972:

(1) بلاد العدو، هي الأراضي الواقعة على الضفة المقابلة للأندلس من بحر الشام (البحر المتوسط)، ويفصلها عنه ذلك البحر، وهي البلاد التي كانت منطلقاً لجيش المرابطين، لنصرة المسلمين، وتعني أي المغرب الأقصى والوسط والأدنى، ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ١٥، وسيشار إليه لاحقاً: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة.

(2) للاطلاع على نص الرسالة، انظر الى الملحق (1).

149؛ حمون 2010: 85) وكان ليوسف بن تاشفين دورٌ حاسم في تحقيق هذا الانتصار فبادلته الناس الحب والدعاء، وعمّ الشاء عليه في المساجد والمنابر، وانتشر ذكر فضله في أرجاء الأندلس، كما خضعت له القبائل التي كانت مترددة في ولائها للمرابطين، مما عزز من هيبة الدولة وولاء أطرافها (المراكشي 2006: 101؛ حمون 2010: 86)، كما أثنى الفقهاء والعلماء على يوسف بن تاشفين، معتبرين هذا النصر فتحًا عظيمًا للإسلام والمسلمين وقد جاء في بعض المصادر: "فيا له من فتحٍ ما أعظمه، ويومٍ كبيرٍ ما أكرمه! فيوم الزلاقة ثبتت فيه قدم الدين بعد زلاقتها، وعادت ظلمة الحق إلى إشراقها، وتنفس مخنق الجزيرة بعض التنفّس، واعتزّت به رؤساء الأندلس، فجزى الله أمير المسلمين" (مؤلف مجهول 1979: 66).

ويستنتج الباحثان أن من عوامل انتصار جيش المرابطين في المعركة، أن الثقة المفرطة التي كانت لدى ألفونسو السادس كانت يمكن أن تؤدي لإحباط المسلمين؛ بسبب تفوق جيش ألفونسو على جيش ابن تاشفين، إلا أنها انعكست إيجابًا على معنويات الجيش الإسلامي ومنحته دفعة قوية للمواجهة، كما أن التنظيم المحكم للمعركة كان لها دور في النصر من قبل ابن تاشفين فهو لم يدفع جيشه مرة واحدة بل قام بخطة محكمة وأرسلهم على دفعات، وقام بالحركة التي اشعلت المعركة و أظهرت قوة ابن تاشفين حيث هاجم الخيام وقام بإحراقها، ومن ثم تواجه مع الفونسو السادس وانتصر عليه.

كما لا ننكر أيضا صمود الجيش في المعركة وعدم استسلامهم، واستمرارهم لتحقيق النصر رغم الضغط المتوالي عليهم من قبل ألفونسو وجيشه، وأن الروح الجماعية كانت بينهم، ودليل ذلك أنه بعد الانتصار جاء المعتمد بن عباد أمير إشبيلية لتهنئة يوسف بن تاشفين رغم إصابته في المعركة وهذا يعكس الروح التضامنية بين حكام المسلمين في الأندلس، ويؤكد أن النصر لا يعتمد على عدد الجنود فحسب بل أيضاً على الاستراتيجية، القيادة، التنظيم، الصمود، والروح المعنوية.

وبعد انتهاء معركة الزلاقة عاد الجيش الإسلامي إلى مدينة إشبيلية، حيث اجتمع المعتمد بن عباد بأهل المدينة، وهنأهم بالنصر، وارتفعت أصوات القراء بتلاوة القرآن، وترددت الأناشيد في أرجاء المدينة فرحًا واحتفالًا بالفتح (الناصري 1997: 50)، ومكث يوسف بن تاشفين في إشبيلية بضعة أيام، ثم قرر

العودة للمغرب، وقد تعددت الأسباب التي دفعته إلى ذلك؛ كان أولها وفاة ابنه الأمير أبي بكر الذي كان قد استخلفه على مدينة سبتة⁽¹⁾، وثانيها ورود أخبار عن اضطرابات داخلية في المغرب استدعت حضوره، أما السبب الثالث فتمثل في إدراكه لعدم امتلاكه قوة كافية تُمكنه من الاستمرار في القتال وملاحقة جيش ألفونسو، إضافةً إلى تخوفه من تحوّل النصر إلى هزيمة، خاصةً في ظل الإلحاح المستمر من أهل الأندلس لمواصلة الهجوم على العدو (ابن أبي زرع 1972: 153؛ خليفة 2003: 265-269).

وجّه يوسف قبل عودته للمغرب دعوة صادقة لأهل الأندلس لنهذ الخلافات، وتوحيد الصفوف، والاستعداد الدائم للجهاد، كما ترك لهم قوة من المرابطين بقيادة القائد سير بن أبي بكر لمساندة المعتمد بن عباد، وقد كان لهذه القوة أثر إيجابي كبير في تعزيز استقرار الأندلس ومساندة مدنها ثم عاد يوسف إلى المغرب، واستقر في عاصمته مراكش⁽¹⁾ (المقري 1968: 104).

بعد عودة يوسف بن تاشفين للمغرب، بدأ المعتمد بن عباد بالاستيلاء على مدن عدة بالأندلس ووصل إلى أراضي مرسية، لكن كانت هناك جموع كبيرة من الفرسان النصاري واشتبك معهم مما اضطر ابن عباد للفرار، ولم تمض سنة واحدة على هزيمة ألفونسو حتى بدأ يستعيد قوته من جديد، وبدأ يحاول السيطرة على شرق الأندلس، ورأى الناس أن من الضروري الاستنجاد بيوسف بن تاشفين مرة أخرى، وبالفعل لى ابن تاشفين النداء وعاد إلى الجزيرة الخضراء وذلك عام 481هـ/ 1088م (حسين 1997: 59-62؛ أبو خليل 1980: 58).

عندما وصل ابن تاشفين إلى الجزيرة الخضراء مرة أخرى بدأ يدعو أهلها للجهاد، واتفق معهم على أن يكون اللقاء عند حصن لبيط⁽²⁾، اجتمع مع تميم بن بلقين أمير مالقة، وعبد الله بن بلقين صاحب غرناطة، والمعتصم بن صمادح وغيرهم من الأمراء، ثم اجتمعوا في حصن لبيط وحاصروه لمدة تقارب الأربعة أشهر وخلال الحصار، حدث خلاف بين ملوك الطوائف مما استوجب على المرابطين الانسحاب، وبعد

(1) سبتة، بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، وهي على برّ البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البرّ والجزيرة، الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 182

(1) مراكش، أعظم مدن المغرب وأجلّها، قع في البرّ الأعظم، وتفصلها عن البحر مسيرة عشرة أيام، وهي في قلب بلاد البربر، وقد اختطّها يوسف بن تاشفين، أمير المسلمين من قبيلة المشرقيين، وذلك في حدود سنة 470 هـ. 1077م، الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 92.

(2) حصن لبيط هو حصن منيع في وسط بلاد المسلمين بين مرسية ولورقة، عنان، 1997م، ص 334.

ذلك وصل ألفونسو السادس إلى حصن لبيط، ثم عاد ابن تاشفين إلى المغرب، وعزم على التخلص من ملوك الطوائف لحياته؛ وذلك بسبب اتصاهاهم بالنصارى (حسين 1997: 62_64؛ عنان 1997 ج2: 335_336).

لم ينته الأمر عند ذلك، واستمر الخلاف بين ملوك الطوائف مما اضطر بعد ذلك أيضا يوسف بن تاشفين العودة مرة ثالثة وذلك عام 483 هـ / 1090م، ولكن لم يكن هذا العبور بسبب دعوة أحدهم ليوسف بن تاشفين، بل للاستيلاء على الأندلس والقضاء على ملوك الطوائف، حيث بدأ حصاره على غرناطة وسير للأندلس أربعة جيوش على كل مدينة للقضاء على ملوكها، وبدأت المدن بالسقوط من يد المعتمد بن عباد مدينة تلو الأخرى، وبالفعل بعد حصاره للمدن وسيطرة ابن تاشفين استطاع المرابطون بقيادته من فتح كل من: غرناطة، مالقه، المرية، قرطبة وإشبيلية في مدن لم تتجاوز الستين (أبو خليل 1980: 60_65؛ عنان 1997 ج2: 337_342).

عندما قضى ابن تاشفين على ملوك الطوائف باستثناء المستعين بن هود الذي أقام مع يوسف بن تاشفين علاقات ودية، حيث وَّجه ابنه عماد الدولة وزيره حتى يثق ابن تاشفين به وبالفعل قامت علاقات ودية بين بني هود والمرابطين (حسين 1997: 74-75)، وقد أوصى يوسف بن تاشفين ابنه بترك بني هود وعدم التعرض لهم، وعندما تخلص ابن تاشفين بشكل فعلي من ملوك الطوائف وأسس إمبراطورية تشمل القسم الغربي من المغرب والأندلس، عبر بعدها العبور الرابع والأخير وذلك عام 496هـ/ 1103م؛ وذلك ليضع أساساً ثابتاً للدولة وللإطلاع على سير الإدارة، وقام باجتماع في قرطبة ووجه من خلاله ابنه علي بن يوسف لتسلم الحكم، وقدم توجيهات لابنه فيما يخص الحكم والإدارة، وعندما انتهى من تنظيم شؤون الأندلس قسمها إلى ست ولايات: إشبيلية، غرناطة، بلنسية، مرسية، سرقسطة، وقرطبة، ثم عاد إلى أفريقيا وتوفي بعد ذلك في مراكش سنة 500 هـ/ 1106 م، وهكذا انتهى حكم يوسف بن تاشفين (حسين 1997: 75؛ أبو خليل 1980: 69-72).

هنا ندرك أنه لم يبق الحال على ما انتهت به معركة الزلاقة، بل بعد ذلك عبر يوسف بن تاشفين ثلاث مرات غير المرة الأولى، فالعبور الأول كان بدعوة من ملوك الطوائف لمساندتهم في التخلص من ألفونسو السادس بعد سقوط طليطلة بيده، وقد لبى النداء ونجح في ذلك، أما العبور الثاني فقد كان أيضاً بدعوة مرة أخرى للتخلص من خطر ألفونسو السادس، لكن حصلت خلافات أثناء حصار حصن لبيط

وعاد بعدها ابن تاشفين متوعدًا ملوك الطوائف لما حصل، فالعبور الثالث جاء ردًا من ابن تاشفين على ملوك الطوائف حيث كان العبور بهدف التخلص من ملوك الطوائف والاستيلاء على الأندلس، وبالفعل نجح في ذلك واستطاع السيطرة وبناء إمبراطورية قوية، أما العبور الرابع والأخير فكان لتثبيت الدولة وتنظيم شؤون الأندلس، ووضع ابنه علي بن يوسف لتسلم الحكم بعد ذلك، وهكذا أصبحت الأندلس تحت سلطة المرابطين، وانتهى عصر ملوك الطوائف.

ويتجه الباحثان إلى أن ما حصل نتيجة خلافات ملوك الطوائف المتكررة؛ مما استدعى ابن تاشفين للقضاء عليهم والسيطرة على الأندلس، على الرغم من أن السيطرة على الأندلس لم تكن من أهدافه في بداية الأمر، لكن في العبور الأول والثاني حاول مساعدتهم، إلا أنهم تخلوا عنه في العبور الثاني، مما أدى إلى تخلص ابن تاشفين منهم وتولي الأندلس.

7. الخاتمة

توصل الباحثان إلى العديد من النتائج بعد دراسة هذه المعركة، ومنها:

- كانت للمعركة أهمية كبرى في إيقاف الزحف النصراني، وتفوق يوسف بن تاشفين في خطته المحكمة، حيث استطاع الانتصار رغم تفوق الجيش الإسباني عددًا وعتادًا، فقد برزت كفاءة يوسف بن تاشفين القيادية والعسكرية في هذه المعركة.
- أظهرت المعركة مدى الغرور والثقة الزائدة لدى ألفونسو السادس، والذي كان يستخف بقدرات المسلمين، ويتباهى بكثرة جيشه، وقد عبّر عن ذلك بقوله: "بجؤلاء أقاتل الجن وملائكة السماء"، وهذا التباهي والاستهانة بالخصم كانا من العوامل التي ساهمت في هزيمته؛ لأنه اعتمد على جيشه كأرقام فقط.
- ساهم هذا الانتصار في تمهيد الطريق لتدخل المرابطين في الشؤون الأندلسية، خاصة بعد أن فقد ملوك الطوائف قدرتهم على الدفاع والتوحد، وقد أسهمت المعركة في تأخير سقوط الأندلس لعدة عقود، فقد أحدثت توازنًا جديدًا في الصراع مع الممالك النصرانية.
- بعد معركة الزلاقة، ظن أهل الأندلس وأمرؤها أن الخطر قد زال، لكنه كان لا يزال قائمًا فسرعان ما عاد ألفونسو السادس إلى الساحة واستأنف القتال والسيطرة بعد عودة ابن تاشفين، ثم عاد

ملوك الطوائف للاستعانة بابن تاشفين مرة أخرى، فلبى النداء وعاد ثانية إلا أنه اكتشف خيانتهم وأصر على القضاء عليهم.

● كان الهدف وراء الاستعانة بالمرابطين مرة أخرى التخلص من خطر حصن لسيط على ممتلكاته في شرق الأندلس، والقضاء على ابن رشيق الذي انتزع مرسية التي كانت من أملاك المعتمد بن عباد.

● عاد ابن تاشفين مرة ثالثة ورابعة للأندلس وتمكن من القضاء على ملوك الطوائف والسيطرة على الأندلس؛ وكان ذلك وراء ما حدث في العبور الثاني من ملوك الطوائف.

● وهكذا، تُعد معركة الزلاقة نقطة تحول تاريخية، لم تكن مجرد مواجهة عسكرية، بل لحظة مفصلية أعادت ترتيب التوازنات السياسية والعسكرية، ورست الوحدة الإسلامية في الأندلس تحت راية المرابطين، ولم تكن نتائجها على المدى القريب بل تعدته وصولاً إلى المدى البعيد.

ملحق رقم (1): رسالة يوسف بن تاشفين لبلاد العدو بعد الانتصار في معركة الزلاقة.

يا ما بعد حمد الله تعالى المتكفل بنصر أهل دينه الذي ارتضاه ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل رسله وأكرم خلقه وأسراة ، فإن
العبء الطاغية لعنه الله لما قربنا من حماه وتواقفنا بأزائه ، لقناه الدعوة
وخيرناه بين الإسلام والجزية والحرب فاختار الحرب ، فوقع الاتفاق بيننا
وبينه على الملاقاة في يوم الاثنين الرابع عشر لرجب ، وقال الجمعة عيد
المسلمين ، والسبت عيد اليهود ، وفي عسكرنا منهم خلق كثير ، والأحد
عيدنا نحن فتفرقنا على ذلك ، وأضمر اللعين خلاف ماشرطناه ، وعلمنا
أنهم أهل خدع ونقض عهد ، فأخذنا أهية الحرب لهم ، وجعلنا عليهم
العيون ليرفعوا إلينا أحوالهم ، فأتتنا الأنباء في سحر يوم الجمعة
الحادي عشر من رجب المذكور بأن العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين ،
يرأ أنه قد اغتزم فرصته في ذلك الحين ، فانتدبت إليه أبطال المسلمين
وقرسان المجاهدين ، فتعشته قبل أن يتعشاها وتغذته قبل أن يتغذاها ،
وانقضت جيوش المسلمين على جيوشهم انقضاض العقاب على عقيرته ،
ووثبت عليهم واثوب الأسد على فريسته ، وقصدنا إرايتنا السعيدة
المنصورة ، في سائر المشاهد المشهورة ، في جيوش لقونة نحو الفئش ،
قلما أبصر النصارا رايتنا المشتهرة ، ونظروا إلى مراكبنا المنتظمة
المظفرة ، وغشيتهم بروق الصفا ، وأظلمت سحاب الرماح ، وزلزلت
خوافر خيولهم رعود الطبول بذلك الفياح ، التحم النصارا بطاغيتهم
الفئش ، وحملوا على المسلمين حملة منكرة ، فتلقاهم المراكبون بنية صادقة
خالصة ، وهمم عالية ، فعصفت ريح الحرب ، ووكفت ديم السيوف والرماح
بالطعن والضرب ، وطاحت المهج ، وأقبل سيل الدماء في هوج ، ونزل من
سما الله على أوليائه النصر العزيز والفرج ، وولا الفئش مطعوناً في
أحد ركبتيه ، طعنة أفقته أحداً ساقيه ، في خمسمئة فارس من مئة
وثمانين ألف فارس ، ومثي ألف راجل ، قادهم الله إلى المصارع والحتف

العاجل ، وتخلص لعنه الله إلى جبل هنالك ، ونظر النهب والنيران في
محلته من كل جانب ، وهو من أعلا الجبل ينظرها شزراً ، لم يجد
عنها صبراً ، ولا يستطيع عنها دفاعاً ولا لها نصراً ، فأخذ يدعو بالثبور
والويل ، ويرجو النجاة في ظلام الليل ، وأمير المسلمين بحمد الله قد
ثبت في وسط مراكبه المظفرة ، تحت ظلال يتوده المنتشرة ، متصور الجهاد
مرغوع الأعداء ، يشكر الله تعالى على مامنحه من نيل السؤل والمراد ،
وقد سرج الغارات في محلاتهم تهدم بناءها وتسلم تخاشرها وأسيابها
وتريه رأي العين دمارها ونهاياها ، والفئش ينظر إليها نظر المغشي عليه ،
ويعض غيظاً وأسفاً على أنامل كفيه ، وحين تمت الهزيمة وتتابع القرار ،
عاد رؤساء الأندلس المنهزمون نحو بطليوس والغار ، وتراجعوا حذراً
من العار ، ولم يثبت منهم غير زعيم الرؤساء والقواد ، أبو القاسم
المعتمد ابن عباد ، فأتا إلى أمير المسلمين وهو مهيب الجناح ، مريض
عفاء وجراح ، فهناه بالفتح الجميل ، والصنع الجليل ، وتسلسل الفئش
تحت الظلام ، قاراً لا يهدأ ولا ينام ، ومات من الخمسمئة فارس الذين
كانوا معه بالطريق أربعمئة ، فلم يدخل طليطلة إلا في مئة فارس ، والحمد
لله على ذلك كثيراً ، وكانت هذه النعمة العظيمة ، والمئة أجيانية ، يوم
الجمعة الحادي عشر لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمئة مائة في الثالث
والعشرين لشهر أكتوبر العجمي .

7, قائمة المصادر والمراجع

• المصادر

- 1) ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ / 1260م) (1985م)، الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط 2، ج 2.
- 2) ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / 1233 م) (1997م) الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، ج 8.
- 3) ابن بلقين، عبد الله بن بلقين (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥ م) (1955م)، التبيان للأمير عبد الله بن بلقين، تحقيق: ليفي برفنسال، دار المعارف، مصر، د.ط.
- 4) ابن تغري، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) (1936م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٣٦م، ج ٦.
- 5) الجذامي، ابو جعفر احمد بن داوود بن يوسف بن هشام (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م) (2009م)، الانتخاب في شرح ادب الكتاب، تحقيق: السعدية بو خريط، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ج ١.
- 6) ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قز (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) (2013م)، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق: محمد أنس الخن وكامل محمد الخراط، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ج ١٩.
- 7) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) (1995م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ٢، ج 1، 3.
- 8) ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الاندلسي (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) (2003م)، اعمال الاعلام، تحقيق: سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ج ٢.

- 9) ابن الخطيب، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الاندلسي (ت ٥٧٦هـ/١٣٧٤م) (2003م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج١.
- 10) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) (1981م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ج٤، 6.
- 11) ابن خلكان، ابي عباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٣م) (1977م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، ج٥.
- 12) الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني الطالبي (ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م) (1989م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، بيروت، ط١، ج٢.
- 13) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) (1960م)، العبر في خبر من غير، تحقيق: فؤاد سيد، دار المطبوعات والنشر، الكويت، ط٢، ج٣.
- 14) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) (1993م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ج٤٢.
- 15) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) (1985م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، د.م، ط٣، ج١٨.
- 16) ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر (ت 741هـ/1341م) (1972م)، الانيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور، الرباط، د.ط.
- 17) ابن العماد، عبد الحي بن احمد بن محمد بن العماد العكبري الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ، ١٦٧٩م) (1986م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٦م، ج٥.
- 18) القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) (1987م)، صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج٥.

- (19) ابن كردبوس، ابو مروان محمد بن ابي القاسم (566هـ / 1171م) (1971م)، تاريخ الاندلس، تحقيق: احمد مختار العبادي، دن، د.ط، ١٩٧١م.
- (20) المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي (647 هـ / 1250م) (2006م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1.
- (21) المقرئ، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) (1968م)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، مج ١، ٤.
- (22) مؤلف مجهول (1979م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة: دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1.
- (23) الناصري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (ت ١٣١٥هـ / 1897م) (1997م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ط، ج 2.
- (24) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م) (2002م)، نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتاب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ج٢٣.

• المراجع العربية

- (25) أدهم، علي (د.ت)، المعتمد بن عباد، شارع كامل صدقي، مكتبة مصر، د.ط.
- (26) الحجي، عبد الرحمن علي (1981م)، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، دمشق، دار القلم، ط٢.
- (27) حسين، حمدي عبد المنعم (1997م)، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، د.م، دار المعرفة، د.ط.
- (28) خطاب، محمود شيت (2003م)، قادة فتح الاندلس، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ط١.
- (29) خليفة، حامد محمد (2003م)، يوسف بن تاشفين، دمشق، دار القلم، ط١.
- (30) أبو خليل، شوقي (1980م)، الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين، دمشق، دار الفكر، ط٢.

31) الزركلي، خير الدين الزركلي (ت 1310 هـ / 1893م) (2002م)، الاعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١٥، ج 1، 2، 3، 4، 6، 8).

32) عبد الحميد، سعد زغلول (1995م)، تاريخ المغرب العربي، القاهرة، دار المعارف، ط ١.

33) عبيدات، داوود عمر سلامة (2007م)، المرابطون والاندلس، اريد، دار الكتاب الثقافي، ط ١.

34) عنان، محمد عبد الله (1997م)، دول الاسلام في الاندلس، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٤، ج ٢.

35) المطوي، محمد العروسي (١٩٨٢م)، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، تونس، دار الغرب الاسلامي، ط ٢.

36) نصر الله، سعدون عباس (1985م)، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، ط ١.

• المراجع المعربة

37) كولان، ج.س (1980م)، الأندلس، ترجمة: إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 1.

38) وات، مونتميري (1998م)، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة: محمد رضا المصري، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط ٢.

List of sources and references

sources

- 1) Ibn al-Abbār, Muḥammad ibn ‘Abd Allāh ibn Abī Bakr al-Quḍā’ī al-Balansī (t 658h / 1260m) (1985m), al-Ḥillah al-siyarā’, taḥqīq: Ḥusayn Mu’nis, Dār al-Ma‘ārif, al-Qāhirah, T 2, j2.
- 2) Ibn Buluqqīn, ‘Abd Allāh ibn Buluqqīn (t488h / 1095m) (1955m), al-Tibyān lil-Amīr ‘Abd Allāh ibn Buluqqīn, taḥqīq: Līfī brfnsāl, Dār al-Ma‘ārif, Miṣr, D. T.
- 3) Ibn tghry, Jamāl al-Dīn Abī al-Maḥāsin Yūsuf ibn tghry Bardī al-Atābakī (874h / 1469m) (1936m), al-nujūm al-Zāhirah fī mulūk Miṣr wa-al-Qāhirah, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, al-Qāhirah, D. T, 1936m, j6.
- 4) al-Judhāmī, Abū Ja‘far Aḥmad ibn Dāwūd ibn Yūsuf ibn Hishām (t 598h / 1201m) (2009M), al-intikhāb fī sharḥ adab al-Kitāb, taḥqīq: al-Sa‘dīyah Bū Kharīṭ, Dār Ibn Ḥazm, Bayrūt, t1, j1.
- 5) Ibn al-Jawzī, Shams al-Dīn Abū al-Muzaḥḥar Yūsuf ibn qiz (t 654h / 1256m) (2013m), Mir’āt al-Zamān fī tawārīkh al-a’yān, taḥqīq:

- Muḥammad Anas al-Khinn wkāml Muḥammad al-Kharrāt, Dār al-Risālah al-‘Ālamīyah, Dimashq, ٢1, j19.
- 6) al-Ḥamawī, Shihāb al-Dīn Abū ‘Abd Allāh Yāqūt ibn ‘Abd Allāh al-Rūmī al-Ḥamawī (t626h / 1229m) (1995m), Mu‘jam al-buldān, Dār Ṣādir, Bayrūt, ٢2, 1, .
 - 7) Ibn al-Khaṭīb, Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn ‘Abd Allāh ibn Sa‘īd al-Gharnāṭī al-Andalusī (t 776h / 1374m) (2003m), a‘māl al-I‘lām, taḥqīq: Sayyid Ḥasan, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, D. T, j2.
 - 8) Ibn al-Khaṭīb, Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn ‘Abd Allāh ibn Sa‘īd al-Gharnāṭī al-Andalusī (t 776h / 1374m) (2003m), al-iḥāṭah fī Akhbār Gharnāṭah, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, ٢1, j1.
 - 9) Ibn Khaldūn, ‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn Khaldūn al-Ḥaḍramī (t 808h / 1406m) (1981M), al-‘ibar wa-dīwān al-mubtada’ wa-al-khabar, taḥqīq: Suhayl Zakkār, Dār al-Fikr, Bayrūt, ٢1, j4, 6.
 - 10) Ibn Khallikān, Abī ‘Abbās Shams al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad ibn Abī Bakr (t681h / 1283m) (1977M), wafayāt al-a‘yān wānba’ abnā’ al-Zamān, taḥqīq: al-Duktūr Iḥsān ‘Abbās, Dār Ṣādir, Bayrūt, D. T, j5.
 - 11) al-Idrīsī, Muḥammad ibn Muḥammad ibn ‘Abd Allāh ibn Idrīs al-Ḥasanī al-Ṭālibī (t 560h / 1165m) (1989m), Nuzhat al-mushtāq fī ikhtirāq al-Āfāq, ‘Ālam al-Kutub, Bayrūt, ٢1, j2.
 - 12) al-Dhahabī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān (t 748h / 1348m) (1960M), al-‘ibar fī khabar min ghabar, taḥqīq: Fu’ād Sayyid, Dār al-Maṭbū‘āt wa-al-Nashr, al-Kuwayt, ٢2, j3.
 - 13) al-Dhahabī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān (t 748h / 1348m) (1993M), Tārīkh al-Islām wa-wafayāt al-mashāhīr wa-al-I‘lām, taḥqīq: ‘Umar ‘Abd al-Salām al-Tadmūrī, Dār al-Kitāb al-‘Arabī, Bayrūt, ٢2, j42.
 - 14) al-Dhahabī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān (t 748h / 1348m) (1985m), Siyar A‘lām al-nubalā’, taḥqīq: Muḥammad Na‘īm al‘rqswsy, Mu’assasat al-Risālah, D. M, ٢3, j18.
 - 15) Ibn Abī zar‘, Abū al-Ḥasan ‘Alī ibn Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Umar (t 741h / 1341m) (1972m), al-Anīs al-Muṭrib brwḍ al-qirtās, Dār al-Manṣūr, al-Rabāṭ, D.T.
 - 16) Ibn al-‘Imād, ‘Abd al-Ḥayy ibn Aḥmad ibn Muḥammad ibn al-‘Imād al-‘Ukbarī al-Ḥanbalī (t 1089h, 1679m) (1986m), Shadharāt al-dhahab fī akhbār min dhahab, taḥqīq: ‘Abd al-Qādir al-Arnā’ūt, Dār Ibn Kathīr, Dimashq, ٢1, 1986m, j5.
 - 17) al-Qalqashandī, Aḥmad ibn ‘Alī (t 821h / 1418m) (1987m), Ṣubḥ al-a‘shā fī ṣinā‘at al-inshā, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, ٢1, j5.

- 18) Ibn krdbws, Abū Marwān Muḥammad ibn Abī al-Qāsim (, 566h / 1171m) (1971m), Tārīkh al-Andalus, taḥqīq: Aḥmad Mukhtār al-‘Abbādī, D. N, D. T, 1971m.
- 19) al-Marrākushī, Muḥyī al-Dīn ‘Abd al-Wāḥid ibn ‘Alī al-Tamīmī (647 H / 1250m) (2006m), al-Mu‘jib fī Talkhīṣ Akhbār al-Maghrib min ladan Fath al-Andalus ilā ākhir ‘aṣr al-Muwaḥḥidīn, taḥqīq: al-Duktūr Ṣalāḥ al-Dīn al-Hawwārī, al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, Bayrūt, T1.
- 20) al-Muqrī, Aḥmad ibn Muḥammad al-Muqrī al-Tilimsānī (t 1041h / 1631m) (1968m), Nafḥ al-Ṭayyib min Ghuṣn al-Andalus al-raṭīb, taḥqīq: al-Duktūr Iḥsān ‘Abbās, Dār Ṣādir, Bayrūt, D. T, Majj 1, 4.
- 21) Mu‘allif majhūl (1979m), al-Ḥulal al-mawshīyah fī dhikr al-akhbār al-Marrākushīyah, taḥqīq: al-Duktūr Suhayl Zakkār wa-al-ustādh ‘Abd al-Qādir Zamāmah: Dār al-Rashād al-ḥadīthah, al-Dār al-Bayḍā’, T1.
- 22) al-Nāṣirī, Shihāb al-Dīn Abū al-‘Abbās Aḥmad ibn Khālīd ibn Muḥammad al-Nāṣirī al-Dar‘ī al-Ja‘farī al-Salāwī (t 1315h / 1897m) (1997m), al-istiṣā li-akhbār duwal al-Maghrib al-Aqṣā, taḥqīq: Ja‘far wa-Muḥammad al-Nāṣirī, Dār al-Kitāb, al-Dār al-Bayḍā’, D. T, J 2.
- 23) al-Nuwayrī, Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn ‘Abd al-Wahhāb ibn Muḥammad al-Nuwayrī (t733h / 1333m) (2002M), nihāyat al-arab fī Funūn al-adab, Dār al-Kitāb wa-al-Wathā’iq al-Qawmīyah, al-Qāhirah, t1, j23.

• Arabic References

- 24) Ad’ham, ‘alā (D. t), al-mu‘tamad ibn ‘Abbād, Shārī‘ Kāmil Ṣidqī, Maktabat Miṣr, D. T.
- 25) al-Ḥajjī, ‘Abd al-Raḥmān ‘Alī (1981M), al-tārīkh al-Andalusī mina al-Fath al-Islāmī ḥattā suqūṭ Gharnāṭah, Dimashq, Dār al-Qalam, t2.
- 26) Ḥusayn, Ḥamdī ‘Abd al-Mun‘im (1997m), al-tārīkh al-siyāsī wa-al-ḥadārī lil-Maghrib wa-al-Andalus fī ‘aṣr al-Murābiṭīn, D. M, Dār al-Ma‘rifah, D. T.
- 27) Khaṭṭāb, Maḥmūd Shīt (2003m), qādat Fath al-Andalus, Bayrūt, Mu’assasat ‘ulūm al-Qur’ān, t1.
- 28) Khalīfah, Ḥāmid Muḥammad (2003m), Yūsuf ibn Tāshfīn, Dimashq, Dār al-Qalam, t1.
- 29) Abū Khalīl, Shawqī (1980m), al-Zalāqah bi-qiyādat Yūsuf ibn Tāshfīn, Dimashq, Dār al-Fikr, t2.
- 30) al-Ziriklī, Khayr al-Dīn alziirikly (t 1310 H / 1893m) (2002M), al-I‘lām, Bayrūt, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, T 15, j1, 2, 3, 4, 6, 8).
- 31) ‘Abd al-Ḥamīd, Sa‘d Zaghlūl (1995m), Tārīkh al-Maghrib al-‘Arabī, al-Qāhirah, Dār al-Ma‘ārif, t1.
- 32) ‘Ubaydāt, Dāwūd ‘Umar Salāmah (2007m), al-Murābiṭūn wa-al-Andalus, Irbid, Dār al-Kitāb al-Thaqāfī, t1.

-
- 33) ‘Inān, Muḥammad ‘Abd Allāh (1997m), duwal al-Islām fī al-Andalus, al-Qāhirah, Maktabat al-Khānjī, 4, j2.
- 34) al-Maṭwī, Muḥammad al-‘Arūsī (1982m) al-ḥurūb al-Ṣalībīyah fī al-Mashriq wa-al-Maghrib, Tūnis, Dār al-Gharb al-Islāmī, 2.
- 35) Naṣr Allāh, Sa‘dūn ‘Abbās (1985m) Dawlat al-Murābiṭīn fī al-Maghrib wa-al-Andalus, Bayrūt, Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah, 1.
- **translated references**
- 36) Kwlān, J. S (1980m), al-Andalus, tarjamat: Ibrāhīm Khūrshīd wa-‘Abd al-Ḥamīd Yūnus wa-Ḥasan ‘Uthmān, Bayrūt, Dār al-Kitāb al-Lubnānī, 1.
- 37) Watt, Mūntighamirī (1998M), fī Tārīkh Isbāniyā al-Islāmīyah, tarjamat: Muḥammad Riḍā al-Miṣrī, Bayrūt, Sharikat al-Maṭbū‘āt lil-Tawzī‘ wa-al-Naṣh, 2.